12ـ المدرسة الوظيفية الأمريكية

(سيمون ديك + أحمد المتوكل)

تمهيد:

تعدّ نظريّة النّحو الوظيفيّ التي أرسى دعائمها الهولندي **سيمون ديك** آخر المحطّات التي مرّت بها اللّسانيات في الثّلث الأخير من القرن العشرين، إذْ حاولت هذه النّظريّة تدارك مختلف النّقائص التي وقعت فيها النّظريّات السّابقة، بما فيها النّظريّة التّوليديّة التّحويليّة، ويمكن إدراك قيمة هذه النّظريّة من خلال التّطرّق إلى أهمّ المبادئ المنهجيّة التي ترتكز عليها ؛ حيث ترى أنّ[1] :

- وظيفة اللّغة الأساس هي التّواصل.

- بنية اللّغة خاضعة لهذه الوظيفة، وبناء عليه، فالوصف اللّغوي لا يجب أن يقتصر على الخصائص البنيويّة وحسب، بل لا بدّ من الاهتمام بالخصائص الوظيفية، والعلاقات القائمة فيما بينهما، من منطلق أنّ القدرة التّواصليّة[2] *communicative compétence* موضوع أساس للوصف اللّغوي، وأنّ مطامح نظريّة النّحو الوظيفي تتلخّص في: الكفاية التّداوليّة، والكفاية النّفسيّة، والكفاية النّمطيّة.

وأمّا الكفاية التداولية فترتبط بقدرة المتكلم "على فهم القواعد التداولية المتحكمة في إنتاج أنماط جملية تتنوع بتنوع أنماط المقامات، و بتركيزه على كيفية توظيف هذه القدرة في عملية التفاعل الاجتماعي، يقول ديك (1977: 26):" يعتبر النحو كافيا تداوليا في حدود كشفه لخصائص العبارات اللغوية الملائمة للكيفية التي استعملت بها، و ذلك بشكل تترابط فيه هذه الخصائص و القواعد المتحكمة في التفاعل الكلامي."

وأمّا الكفاية النفسية فهي أن يحاول النحو الوظيفي أن يكون مطابقا للنماذج النفسية التي تنقسم إلى نماذج إنتاج (التي تحدد كيف يبني المتكلم عباراته وينطقها)، ونماذج فهم وهي

---

[1] ينظر: الزايدي بودرامة: النحو الوظيفي والدرس اللغوي العربي- دراسة في نحو الجملة- (دكتوراه علوم في علوم اللسان العربي)، جامعة باتنة، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، 2013- 2014، ص: ج

[2] "هكذا تكون القدرة هي القدرة التواصلية أي قدرة المتكلم على التفاعل الاجتماعي بتوسل اللغة، وبذلك يعتبر أن دراسة النسق اللغوي لا يمكن أن تتم إلا في إطار تصور عام حول نسق الاستعمال اللغوي لوجود تماس وانصهار بينهما". ينظر: ربيعة العربي، نظرية النحو الوظيفي، مركز الدراسات والأبحاث العلمانية في العالم العربي، بتاريخ: 2015/1/5، شوهد بتاريخ: 2021/02/15. على الرابط:
https://www.ssrcaw.org/ar/show.art.asp?t=2&aid=449098

التي تحدد كيفية تحليل المخاطب للعبارات اللغوية وتأويلها.

فيما يسعى مبدأ الكفاية النمطيّة إلى أن ينطبق على أكبر عدد ممكن من اللُّغات، من خلال البحث في الخصائص المشتركة بين اللُّغات الطبيعية، انطلاقًا من خصائصها الدلالية والتداولية، ويذهب سيمون ديك إلى أنّ نظرية النحو الوظيفي يجب "أن تكون قادرة على بناء أنحاء للغات ذات أنماط متباينة، وعلى إبراز ما يُؤالف وما يخالف بين هذه اللُّغات، وتستوجب الكفاية النمطيّة أن تطوّر النظرية انطلاقًا من معالجتها لمُعطيات مستمدة من عدَّة لغات، وأن تختبر انطباقية فرضياتها على معطيات نابعة من لغات أخرى"[1].

1- مفهوم النظرية الوظيفية عند سيمون ديك:

تعد نظرية النحو الوظيفي من منظور سيمون ديك من أهم النظريات المندرجة في الأنحاء المؤسسة تداوليا، حيث تبنت هذه النظرية مبدءًا مهما اهتمت خلاله بالكلام ومستعمليه، وقد كان أول ظهور لهذه النظرية في مدينة أمستردام على يد الهولندي "سيمون ديك Simon Dik"[2] في نهاية السبعينيات، وكان يطمح إلى " دراسة خصائص اللّسان الطبيعية البنيوية (الصورية) في ارتباطها بوظيفة التواصل؛ أي دراسة اللغة في مختلف مظاهرها التواصلية باعتبار التواصل الوظيفة الجوهرية للغات الطبيعية، وذلك عبر أبعاد مختلفة متمثلة في: البعد العلاقي، والبعد التوجيهي، وكذا الإخباري أو التعبيري والإستثاري، وذلك من منطلق أن التواصل نشاط اجتماعي يُفضي بشخصين (أ و ب) إلى تغيير معلوماتهما التداولية"[3].

يورد الباحث يحي بعيطيش أنه، حتى نعدّ نظريّة أو توجّها ما توجها وظيفيا، يجب:[4]

---

[1] نعيمة الزهري، التعجب في اللُّغة العربية (من الفكر اللّغوي العربي القديم إلى النحو الوظيفي)، منشورات ضفاف، منشورات الاختلاف، الرّباط، المغرب، ط1، 2014، ص141، 142.

[2] سيمون ديك باحث هولندي، ولد في هولندا سنة 1940، درس في البداية اللسانيات اللاتينيّة في كلية الآداب بجامعة أمستردام التي شغل فيها منصب عميد، ثم النحو الوظيفي الذي يعد أول مؤسس لنظريته التي حملت هذا الاسم في كتابه الأول سنة 1978، والتي أصبحت معروفة باسم نظرية النحو الوظيفي منذ سنة 1988 إلى اليوم، و قد توفي سنة 1995.

[3] المرجع نفسه، ص56.

[4] ينظر: يحي بعيطيش، نحو نظرية وظيفية للنحو العربي، (أطروحة دكتوراه دولة في اللسانيات الوظيفية الحديثة)، جامعة منتوري، قسنطينة، 2005- 2006، ص57.

- اعتبار الوظيفة التبليغية الوظيفة الأساس للغة، وأن تلك الوظيفة تعكس إلى حد كبير الخصائص البنيويّة للتراكيب اللّغويّة (الصّوتيّة، والصّرفيّة، والمعجميّة، والتّركيبيّة) في الجملة أو النّصّ.

- لا يعدّ النموذج النّحوي نموذجا وظيفيا إلاّ إذا أفرد فيه مستوى خاصّ للجوانب التداولية، منظورا إليها على أنّها مجموعة خصائص تسهم في تحديد البنية التركيبية للجملة أو النص، حيث يسهم بمعية الجوانب الدلالية في توفير كل المعلومات التي تحتاجها القواعد التركيبية المحددة لرتبة المكونات، وحالاتها الإعرابية.

ففي ضوء هذين الأساسين يمكن التّفريق بدقّة بين النّحو الوظيفي والنّحو غير الوظيفي؛ فالنّحو الوظيفي هو الذي لا يقتصر على البحث عن الدّور الذي تؤدّيه الكلمات أو العبارات في الجملة؛ أي الوظائف التركيبية؛ لأنّ هذه الوظائف لا تمثل إلاّ جزءاً من كلّ تتفاعل مع وظائف أخرى مقاميّة (الوظائف الدلالية والتداولية)،) فالنّحو الوظيفي إذن هو ذلك الجهاز المركب من محصلة كل هذه الوظائف (التركيبية، الدلالية، والتداولية)، أمّا النّحو غير الوظيفي فهو النّحو الذي يُكْتَفَى فيه بتحديد وظائف بنية الجملة التّركيبيّة، وقد يتعدّى هذا إلى الاهتمام بتمثيل الوظائف الدّلالية، ومن هذا المنطلق لا يمكن عدّ الوظيفيّة الفرنسية بزعامة أندري مارتني، كما يورد بعيطيش، من النّحو الوظيفي في شيء؛ ذلك أنها لم تدرج فيوصفها مستوى لتمثيل الخصائص المقامية التداولية بل ركزت على الأشكال البنيوية ذات الطابع المادي الذي يسهل حصره وضبطه وتقنينه ودراسته دراسة علمية موضوعية، يقول بعيطيش: "ويترتب على ذلك أبعاد نظرية النّحو الوظيفي أو علم التركيب الوظيفي لمارتني –مثلا- من النماذج النّحوية الوظيفيّة لأنها ... لم تدرج في وصفها مستوى لتمثيل الخصائص المقامية التداولية، فهي على غرار الأنحاء البنيوية التي ضحت بالأساسين معا من أجل التفرغ كلية للخصائص البنيوية الشكلية[1].

وعليه، تعد نظرية النحو الوظيفي من منظور سيمون ديك من أهم النظريات المندرجة في الأنحاء المؤسسة تداوليا[2] في نهاية السبعينات وأظهرت ردة فعل عنيفة ضد المد التوليدي

[1] ينظر: يحي بعيطيش، نحو نظرية وظيفية للنحو العربي، ص42.

[2] أبرزها: نظرية أفعال الكلام، والملفوظية، والحجاج، ونظريات النّحو الوظيفي.

التحويلي ورفض مبدأ التحويل، محاولا الاستفادة مما قدمه فلاسفة اللّغة العادية، وموسعا النظر نحو بناء نحو يربط بين البنية والوظيفة، حيث تبنت هذه المدرسة مبدءًا مهما اهتمت فيه بالكلام ومستعمليه، وعرفت خلال مسيرتها العلمية ثلاث نماذج معرفية[1]:

2- نماذج النظرية الوظيفية:

أ- النموذج النواة أو نموذج النحو الوظيفي ما قبل المعياري (1978- 1988)[2]

يمكن الحديث في هذه المرحلة عن النموذج الذي أطلق عليه البعض "نحو الجملة"، نظرا لتركيز عملها على الجملة التي تشتق عبر ثلاث أبنية أساسة هي: البنية الحملية، والبنية الوظيفية، وتدل في كل بنية عن جملة من الخصائص والقواعد، وتتكون هذه البنية من بنيتين أساسيتين هما بنية المحمول وبنية الدلالة.

تحدد الصورة العامة التي قدمناها للنحو الوظيفي جملة من المبادئ الأساسية التي اتخذها هذا النموذج سندا يرتكز عليه في مجمل التحليلات التي قدمها للظواهر اللغوية. وقد حصر المتوكل هذه المبادئ في[3]:

أ – تعتبر اللغة بنية تركيبية – صرفية ودلالية تنحصر وظيفتها الأساسية في التواصل.

ب- تقوم الخصائص الوظيفية للغات الطبيعية بالدور الأول في تحديد الخصائص البنيوية.

ج – تتفاعل الخصائص الدلالية والخصائص التركيبية والخصائص التداولية في تشكيل البنية التركيبية الصرفية.

د – تقوم بين مكونات الجملة ثلاثة أنماط من العلاقات علاقات دلالية وعلاقات تركيبية وعلاقات تداولية.

هـ– العلاقات الدلالية و العلاقات التداولية علاقات " كلية" ،بمعنى أنها واردة في وصف جميع اللغات الطبيعية على النقيض من العلاقات الوجهية التي قد لا يحتاجها وصف بعض اللغات.

و– الوظائف التركيبية والوظائف الدلالية والوظائف التداولية مفاهيم "أولى" وليست مفاهيم مشتقة.

---

[1] ينظر: الزايدي بودرامة: النحو الوظيفي والدرس اللغوي العربي، ص32.

[2] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3] المرجع نفسه.

ز – لا يتم الانتقال من البنية الدلالية إلى البنية الصرفية – التركيبية إلا عبر توسل نسق قواعد التعبير.

ح – تشتق الجملة بدءا بالبنية الدلالية وانتهاء بالبنية الصرفية التركيبية لا العكس.

ط – ألغيت قواعد التحويل من جهاز النحو الوظيفي لعدم ملاءمتها لمبدأ الكفاية النفسية.

ي – يمثل لمحتوى المفردات لا باللجوء إلى نسق مجرد، و إنما باللجوء إلى اللغة موضوع الدراسة.

ك – البنية المنطلق منها في عملية اشتقاق الجملة بنية غير مرتبة.

تؤطر هذه المبادئ العامة المشروع التأسيسي للنحو الوظيفي الذي يروم بلورة نموذج مستعمل اللغة الطبيعية من خلال ضبط أنواع القوالب المشكلة لهذا النموذج وتحديد نمط العلاقات القائمة بين هذه القوالب، وبالتالي حصر الاستراتيجيات الإجرائية اللازمة لمقاربة الإنجاز التواصلي لمستعملي اللغات الطبيعية.

إنجازا لهذا المشروع يتخطى النحو الوظيفي في (ديك 1989) حدود الانشغال بالقدرة اللغوية ليهتم بأنماط من القدرات الأخرى التي يحتم بناء نموذج مستعمل اللغة الطبيعية (ن م ل ط) منحها قسطا وافرا من الاهتمام تتلخص هذه القدرات فيما يلي:[1]

–القدرة اللغوية: التي تجعل مستعمل اللغة الطبيعية (م ل ط) قادرا على إنتاج و تأويل العبارات اللغوية مهما بلغت درجة تعقيدها و مهما تعددت الأوضاع التواصلية التي يمكن أن تنجز فيها.

– القدرة الابستيمية: تمكن (م ل ط) من أن يبني و يكشف الأساس المعرفي المنظم لإنتاج العبارات اللغوية و من أن يشتق معرفة انطلاقا من هذه العبارات و من أن يوظف هذه المعرفة في إنتاج و تأويل عبارات أخرى.

– القدرة المنطقية: تؤهل (م ل ط) لأن يشتق انطلاقا من أجزاء معينة من المعرفة أجزاء أخرى، و ذلك عبر توسل قواعد التعليل التي ترصدها مبادئ المنطق الاستنتاجي و الاحتمالي.

– القدرة الاجتماعية: تجعل (م ل ط) مدركا لما يقول و لما ينبغيه من إنجاز ما يقوله في مختلف السياقات التواصلية.

---

[1] ينظر: ربيعة العربي، نظرية النحو الوظيفي، مركز الدراسات والأبحاث العلمانية في العالم العربي، https://www.ssrcaw.org/ar/show.art.asp?t=2&aid=449098